العمارة العربية المعاصرة وخصوصيتها المحلية

نوال عبد الامير خميس
الجامعة التكنولوجية
مدرس مساعد
تاريخ الاستلام : ٢٠٠٩/٤/٢٠

نقاء نضال خضير
جامعة بغداد
مدرس مساعد
تاريخ القبول : ٢٠١٠/١٢/٨

الخلاصة

ان خلق عمارة تحمل هوية محلية تعبر عن بيئتها وتتلائم مع متطلبات العصـــــــــر يتطلب فهم الموروث المعماري لتلك المنطقة والاستفادة من الحلول المعمارية التي قدمها المعماريون القدماء للملائمة مع ظروف البيئة الطبيعية والاجتماعية.اذ لم تعد العمارة انعكاسا خاصا ومميزا لهذه البيئة او تلك . فالتخبط بالافكار وعدم انتمائية النتاجات المعمارية الحديثة والاتباع غير المدروس للحركات والصيحات الحديثة في العمارة ادى الى فقدان الهوية المحلية وصعـــوبـــــــــــــــةالتمييز بين البيئات المختلفة (وهذا هو محور المشكلة العامة) وبالتالي صعوبة الانسجام مع تلك النتاجات والنفورمنها اذ انها فرضت قسراً على بيئتنا العربية نتيجة استنساخ تكوينات معمارية معروفة وزرعها هنا وهناك ، في مناطق ذات قيم حضارية واجتماعية تختلف كل الاختلاف عن الغرب . فثقافة البعض من المعماريين الجدد على المستوى العام (تطبيقيا) ،والطلبة على المستوى الخاص(اكاديميا) تهتم بدراسة العمارة الغربية اكثر من اهتمامها بدراسة تاريخ العمارة العربية الاسلامية(المشكلة الخاصة).وعليه فان المشكلة البحثيةهي عدم وجود تصور واضح للمؤشرات التي من شأنها تكوين قاعدة مشتركة ولو الى حد ادنى تساعد معمارينا الجدد وطلبتنا الاعزاء في خلق عمارة معاصرة تحمل هوية محلية تنسجم مع البيئة والمجتمع الذي وجدت من اجله ولخدمته . وبهذا فأن هدف البحث هو طرح تلك المؤشرات التي تكون كقاعدة مشتركة لترسيخها في عقول طلبتنا في مدارسنا المعمارية لتكون كنواة ممكن الانطلاق منها في عملية التصميم (على المستويين الاكاديمي والتطبيقي معا).وهذا تم من حلال العودة الى موروثنا الغني بغية استقراء القيم الايجابية فيه واتباعها في ضوء التقدم التكتيكي المعاصر والتطلعات الجديدة نحو المستقبل ،وهذا لايعني اللجوء الـــــــــى استعارة المفردات الشكلية والسطحية بل تحليل التراث والتقـــــــــاط الجوانب المميزة له للاستفادة منها في خلق عمارة حديثة معاصرة تحمل هوية محلية.

الكلمات الرئيسية. العمارة العربية المعاصرة، العمارة التقليدية، العمارة المعاصرة ــ صور واشكال ــ

١-المقدمة.

إن المتفحص لعمارتنا اليوم يجد إنها تفتقد إلى الهوية المتميزة والإتباع غير المدروس للأساليب الغربية البعيدة كل البعد عن حضارتنا الإسلامية وعن مجتمعنا الإسلامي. لذا من الواجب علينا كمعماريين وباحثين في مجال العمارة أن نتوقف لنتعرف عن الهوية وما الذي أدى إلى فقدانها في عمارتنا المعاصرة (المشكلة وأسبابها) وبالتالي محاولة إيجاد بعض الحلول الكفيلة بعودة العمارة إلى سابق عهدها كعمارة عربية إسلامية متميزة يشار إليها بالبنان.

٢- الهوية والتراث في العمارة.

إن العمارة بوصفها خطابا أو نظاما أو شكلا، هي أداة تكون هوياتنا واختلافاتنا وتؤطر كيفية معرفتنا بالعالم. إذ يعرف Abel الهوية المعمارية بأنها امتلاك العمارة جوهرا خاصا لتمثل التناغم المثالي المتواصل بين الشكل والثقافة والمكان والمناخ [١] في حين إن ما يمنح العمارة سماتها، بحسب Syeart هي الفوارق الواسعة في المناخ، والظروف الاقتصادية، والعادات والتقاليد، وهي فوارق معمارية يؤكد وجوب الاحتفاظ بها لأنها تمنح العمارة هويتها المحلية وتؤكد نزعتها للتكيف المكاني من أجل الاستعمال الأفضل للاحيزة والتمتع بها من قبل الناس[2]. إن الهوية تبحث في التشابهات التي تجمع مجموعة من المجتمعات بخصائص متشابهة (العلاقات، عناصر) (بنى عميقة، بنى سطحية) في حين تبحث الخصوصية في الاختلافات التي تميز مجتمعا ما يمتلك هوية عن غيره من المجتمعات التي تمتلك أو لا تمتلك الهوية نفسها وفي الوقت نفسه لتحقيق الخصوصية لابد من تحقيق التشابه بين (العلاقات، العناصر) في الخصائص التي يختلف مجتمع ما عن غيره من المجتمعات الأخرى التي تمتلك أو لا تمتلك الهوية نفسها أيضا[2].

إذ توجد علاقة وثيقة الهوية وحضارة الإنسان إذ إن هناك ثلاث محيطات تحوي هذه العلاقة هي:

أ-المحيط المباشر: يشمل عوامل مثل الانتماء إلى المنزل أو الحي أو القبيلة.

ب-المحيط الخاص: يشمل عوامل مثل الانتماء إلى لغة أو عرق أو دين.

ج-المحيط العام: يشمل عوامل مثل الانتماء إلى تاريخ معين أو ثقافة معينة أو طبيعة معينة.

ويدخل التراث في كل هذه المحيطات ولهذا يعد التراث من أهم العوامل المحددة لشخصية الإنسان وهوية المجتمعات والعمران[3].فالتراث بمضمونه الأوسع والأشمل يعني مجمل ما خلفته حضارات الأجيال السابقة إلى المجتمع المعاصر. ويعد التراث المعماري أهم التركات الحضارية التي نتمكن من خلالها من قراءة تاريخ الأمم فالعمارة سجل لا يكذب وهي شاهد حي أبدا يعبر بصمت من خلال بنيته ومفرداته عن حذاقة الفن ورفعة الذوق ونضج الحضارة [2] .

فالنتاج المعماري هو انعكاس مادي ملموس لتطلعات وهواجس شعب معين أو امة معينه، معبرا عنه بأشكال منطوية على موائمة عقلانية للاحتياجات النفعية مع إصباغها بألوان قيم تراكمات الخبرة الجمالية المنفردة ومعاييرها الخاصة[4].إن الهوية المعمارية القومية للشعوب والأجناس واضحة وجلية لكل الشعوب،تعكس خصائصه ومزاياه المادية، والبيئية والاجتماعية. أما في عالمنا اليوم، وبفعل المتغيرات التي طرأت على العالم، فإن هذه الخصوصيات القطرية والإقليمية قد اضمحلت بل تلاشت بفعل الطوفان المفاهيمي الغربي عموما[5]. مما سبب فوضى وارتباك في عمارتنا المعاصرة. كما في الشكل رقم (١) الذي يعكس امثلة متنوعة لتأثير عمارة مافوق الحداثة على العمارة الخليجية .

٣- فوضى وارتباك في عمارتنا المعاصرة.

إن العمارة اليوم تفتقر إلى الاتجاه الواضح لأهدافها بالنسبة إلى المجتمع ، إذ يرى آلدن دو إن العمارة هي أفضل مترجم للمجتمع، ولكن مجتمعنا أكثر اهتماما بالأشياء المادية مما هو بالتفكير الواسع والسليم وهذا يسهم في ايجاد الفوضى في العمارة [6].

إن الفوضى الحالية في التصميم المعماري، والتي هي أكبر مما كانت عليه من قبل في التاريخ هي نتيجة لزخم الفيض الذي لا يهضم وغير قابل للفهم للمواد والتقنيات الجديدة التي وضعها المنتجون تحت تصرفنا فضلا عن تأثير الفلسفات الواسعة في تفاوتها للمعماريين العظام الذين أقاموا التاريخ المعماري للنصف الأول من قرننا الحالي ، فعالم المهندس المعماري لا يعدو أن يكون جزءا من عالم أوسع نعيش كلنا فيه، وإن الارتباك موجود في كل مكان من حولنا، في المناهج وفي النمو المضطرب لمدننا، وفي افتقارنا إلى الإيمان بمستقبل المعمورة[6].إذ يقول هاري ويس: "إن وضعنا القائم هو بالأساس فوضوي، وأنني بهذا أشير إلى ما يسر العين"، وإن ما يفتقر إليه كثيرا هو النظام –نظام في الغرض وفي الطريقة. إن النظام السائد هو نظام التفصيلات وليس نظاما لعلاقات كبرى. وعدم النظام يغذيه الافتقار إلى احترام ما هو قائم أو ما يقوم به الآخرون. إنها أنانية أساسية ورغبة في جعل كل مهمة عالما مهما بذاته ومنفصلا. أنها نكران للشارع ولخطوط الاطناب ولسمة المكان وبيئة اللون والمواد. أنها فرض لقيم الفجاجة والارتجاج. وهو يسمي ذلك بمرحلة "الأنا" في العمارة. إن عمارة الأنا فاتنة بحد ذاتها ولذاتها أو في المجلات، ولكنها بالأساس عمارة عقر، كالطفلة أو الهجين، لا يمكنها أن تتكاثر أو تكون عائلة أو تخلق مجتمعا– أي أنها لا تقدر على بناء بيئة. أن معماريي الأنا والصباغين الذين يستعملون الحاملات هم في دفيئة أزيائية عابرة، لا يدينون إلى التقاليد بشيء بل يقيمون عالما في خيالاتهم الخاصة. أنها استعراض هش وزائل[6].ونحن بذلك لا ندعو إلى عدم الاختلاف في التصاميم أو عدم استخدام المواد والتقنيات الحديثة وذلك لأن الاختلاف في المعالجات التصميمية أمر صحيح في جميع الأزمنة، شريطة أن

يكون للمصمم احترام وإدراك للوحدة الكبرى للمجموع. إن على المعماري أن يعمل ضمن الإطار العام الشامل، حتى لو اختلفت التفصيلات باختلاف الفرد والحالة المعنية. هذا هو ما يجب أن يكون عليه الحال، وأنه على العموم لأمر سليم [6].

وهنا نجد المشكلة الكبرى وهي أن العمارة اليوم لم تعد انعكاسا خاصا ومميزا لهذه البيئة أو تلك، وذلك لأن التوجه العمراني المعاصر نحو الفكر الوافد غريب جدا يتعارض وأدنى خصائص المنطقة البيئية والعمرانية. التغيير أو التحول سمته الفجائية والسرعة والمحاكاة لبيئات مغايرة. فلم تتمكن هذه البيئات من التكيف معه ولم تستطع معالجته فعانت الأمرين. وحجم المشكلة سيتضخم بشكل كبير في العقود القادمة إذا لم نساهم في تداركها كمعماريين[7].كما في الشكل رقم (٢)الذي يمثل مشاهد من القاهرة الخديوية المصممة بنسخة من باريس في القرن التاسع عشر .

فقد أصابت البنية العمرانية العربية أخطاء فادحة حد الكوارث كالهدم المنظم للتراث وتشويه المدن وتوسعاتها السرطانية، وإشاعة الابتذال السوقي والتلوث البصري، وانعكس الأمر على طبيعة المجتمعات، فأمست ضائعة، حيرى بين التشبث بالتراث أم اقتفاء الحداثة المنفلتة[8].فقد جاءت الحركة الحديثة في العمارة والعمارة التفكيكية بأسلوب يبتعد كل البعد عن التراث ومحاكاته والاستلهام منه كما سنرى ذلك في الفقرة القادمة.

٤- الحركة الحديثة والتفكيكية وموقفهما من التراث والهوية.

في بداية القرن العشرين حصل تطور تكنولوجي ومعلوماتي كبير في العالم نتيجة هذا التطور فأن نماذج من البنيان العالمية بدأت تغزو المعمورة وتطغي على ملامح المدن في كل مكان، فتكسرت أطواق الخصوصيات القطرية والقومية في العمارة مثلما اضمحلت وتلاشت الخصوصيات الذاتية في جوانب الحياة كافة[٥].فقد وصلت الحداثة في العمارة الغربية حد التطرف في الانقطاع عن التقاليد وعن الطبيعة وعن الإنسان حتى انقلبت المدينة الحديثة إلى مجموعة من الكتل الهندسية المجردة[٩].فإن الكونكريت المسلح وكتل المباني الشاهقة والشوارع الواسعة هيمنت على الذوق والتفكير المعماري على الصعيد العالمي. فذابت ملامح القيم العمرانية المحلية وسط الطغيان، فأصبح عطاء الغرب منهل تفكيرنا وقبلة توجهنا[٥] ، شكل رقم (٣). إن معظم انتقاءات العمارة الحديثة قد ركزت على الخاصية البصرية المنفرة نتائجها في عدم القدرة على التواصل والتوصل [10].فمبدأها –العمارة الحديثة– هو أن تكون عمارة مبتكرة كما لو أنه لا شيء قد عمل من قبلها أبدا[11].

لقد روج الرواد في بداية الحركة لأفكار تعلقت بنبذ الماضي والتقاليد والتاريخ بحجة أن الأفكار المسبقة التي ستتكون في أذهانهم ستخمد إبداع حلول أصيلة ونقية[12].فهي بذلك حاولت الابتعاد عن الطرز الكلاسيكية القديمة من خلال اعتمادها التجريد والاختزالية، لتمثل الحقيقة بعناصر وظيفية غير مزخرفة وبذلك حلت الوظيفة محل نظم التشكيل الكلاسيكي كبداية، لكن رغم ذلك فالأشكال التي اعتمدها أصبحت أشكال تشير إلى معطيات جديدة مثل الوظيفة والتقنية[13].أما الأهداف الاجتماعية التي تبنتها العمارة الحديثة اعتمدت في أساسها على المثالية الاجتماعية التي تهدف إلى تحسين طريقة العيش ورفض الالتفاف للتقاليد المعمارية المختلفة التي افترضت امتلاك دلالات الهيمنة للمراحل السابقة[14].وبذلك أصبحت سمة هذه المرحلة التجديد من أجل التجديد لأن الماضي كان ساكنا وجامدا مدة طويلة من الزمن وأن التقدم هو السير نحو الأمام وعدم الرجوع إلى التراث الذي وصف لاحقا بالتقدمية وأن التخلف هو الرجوع إلى الخلف والأخذ من التراث والتي وصمت بالرجعية وذلك تأكيدا للقطيعة مع الماضي (التراث)[2].

ونتيجة لذلك أصبح هناك تخبط في الساحة المعمارية ولعل أهم أسباب هذا (التخبط المعماري) هو فقدان الخصوصية وانقطاع الصلة مع التراث القومي نتيجة الظروف التاريخية والاستعمار الثقافي الذي زرع عقدة النقص بالنفس وشجع نزعة التقليد والتغريب[15].إذ أصبح هناك فصل متعذر اجتنابه بين النتيجة التي تخلق البيئة والشريحة العامة المختلفة التي تقطن فيها وتستعملها[16].ولم تعد تمثل واقع حيوي يتفاعل معه الإنسان وتنسجم مع رغباته[17].أضف إلى ذلك الإهمال في إعادة النظر ومناقشة تلك الحقائق بتغير الزمن والأذواق والمتطلبات المعنوية للمجتمعات والاستمرار في تقليد الأعمال الرئيسة وأعمال رواد العمارة الحديثة في العالم وارتباطها بمحاولة تحقيق السرعة والكلفة القليلة من خلال مكننة الإنتاج وتوحيد البدائل والمقاييس، أسهم كل ذلك في إضاعة الهوية والصفات الخصوصية للبلدان. وافتقدت العمارة الحديثة بإهمالها الدور المعنوي والروحي للمجتمعات[2].

ربما يكون الأمر برمته متداعيا من الدعة الحضارية التي نحن فيها، حيث إن الحداثة التي مازلنا نتخبط بين حيثياتها هي حداثة غربية محضة وليس حداثتنا البته، إذ تصاعدت نزعة التنكر للماضي حتى وطأت التفكيكية التي أعلنت حاجة الغربيين لمسوغ يداروا بها خيبتهم في فشل الحداثة، بعدما لم تطأ ثابت ثقافي، وأحجمت عن تفسير الكثير من الأمور الروحية، أو حتى إقناع أهلها. ويرصد المتتبع أن الحداثيون العرب يصرون على تصدير آفات هذا الفصام الذي يعيشونه إلى مجتمعاتهم من خلال فرض مبدأ القطعية مع التراث، كما سعى له المنهج التفكيكي الذي طبل الحداثيون دون أن يكلفوا أنفسهم عناء مراجعته وتكييفه مع واقع مجتمعاتهم[8].

إن موقف العمارة التفكيكية من الهوية والخصوصية على أساس أنها لم تعد مركزية لطبيعة العمارة، أنعكس بدوره على موقفها من التراث جعلها تنظر إليه نظرة متطرفة –على حد تعبيرهم– تقوم على الاستعلاء عليه، ولا تعترف بأهميته في تأسيس الحاضر باتجاه المستقبل وهذا ما عبرت عنه الطروحات بأنها تفرغ هوية المعماري من ارتباطاتها المحلية. وقد رفض معماريو الغرب أنفسهم هذا الموقف وهذه النظرة، إذ تحذر الطروحات من التعالي على المراجع التاريخية والتناقض غير المفهوم والتعقيد الذي يحقق الغرابة، فإذا كان هناك تناقض في كل مكان فلا يعود له وجود في أي مكان[18].

وبات من الضرورة بمكان الخوض في نقاش وجدل فكري للتوصل –ولو إلى حد أدنى من القاعدة المشتركة– لمفهوم أو أطار فكري وسياسي جديد للهوية والخصوصية في العمارة، وذلك للحد من الأفكار المستوردة والتي لا تتلائم مع نهجنا الحضاري الجديد، وللحد المباشر من ترسيخها في عقول طلبتنا في مدارسنا المعمارية[15].وذلك لأن الدعوة إلى الأصالة تبدأ بإيقاظ الوعي التاريخي لفن العمارة العربية الإسلامية. ومن المؤسف أن ثقافتنا المعمارية تعتمد على دراسة تاريخ العمارة الغربية أكثر من اهتمامها بتاريخ العمارة الإسلامية[19].

٥- علاقة العمارة العربية الإسلامية بالمجتمع والتراث.

العمارة لا وجود لها بصيغة مطلقة. بل تقوم العمارة وتمتلك صفاتها الأساسية ضمن أطار المكان والزمن وبتأثير الإنسان (فرد/مجتمع) الذي يمثل محور وجودها، فهي تقوم تلبية لحاجات مادية وروحية له والإنسان في كامل علاقته بالعمارة وفعاليات صنعها يكون في موقفين: الفاعل وصانع الحدث، والمتلقي مراقب الحدث[20].إذ يقول طالب الطالب: " الحاضر يولد من جوف الماضي، والمستقبل هو وليد رحم الحاضر، فالحاضر من هذا المنطلق هو نقطة عناق الماضي والمستقبل ينفعل بهما ويفعل فيهما"[٥]. فالعراقيون القدماء بنوا قبل الإسلام مثلما بعده، ولم يخذلوا تراثهم إلا في الأزمنة الحديثة، حينما غزتهم الحداثة. وأن العراق والشام ومصر كانوا معلمين موهوبين للأغريق والرومان وخليفتهم بيزنطة من جهة والفرس وآخرهم الساسانيين من جهة أخرى، وأن هؤلاء كانوا دائما مستعيرين ومستهلكين للعمارة أكثر من مبدعين ورواد لها، بالرغم من الإبهار الصرحي، والترويج المقصود ممن نظر للعمارة ونقلها معلومة لرواد التنظير الحديث عندنا. فنحن نرى أن ثمة رسوخ في المنجز المعماري لكل إقليم، والعراق مثال صريح على ذلك، حيث يستنتج المعاين، أن ثمة محاكاة واسترسال بين المشيدات السومرية والبابلية مع وريثتها العباسية والإسلامية اللاحقة، بعدما اعتمدت على خامات مشتركة ووظفت عناصر هيكلية

ومعمارية وفنية بعينها. ولا تختلف مع من يذهب إلى أن ثمة اختلاف في ماهية التفريغ الفني، والأمر أملاه ما طرأ على الفكر والعقائد من تغيير، وكذلك على وسائل وأنظمة التقانة المتاحة التي تخص كل زمن وتتغير تبعا له. وبالرغم من ذلك فأن ثمة الكثير من المشتركات الفنية في الخامة والشكل والموضوع واللون والملمس والتشكيل[6].وبذلك فأن عمارة الشعوب مكثت أمينة على الثابت المعماري لسالف العهود، وأنها جددت نفسها وتوائمت مع الإرتقاء الجديد.

فالعمارة التقليدية عمارة إبداع وليست عمارة تقليد،كما في الشكل رقم (٤) الذي يمثل نماذج متنوعة من العمارة الخليجية اعتمدت اسلوب النسخ الشكلي للماضي، فهي اذا عمارة خلاقة وليست عمارة ناسخة خامدة متطفلة على فكر غيرها. فالذي تحتاجه عمارتنا المعاصرة في القرن الجديد هو الحوار الهادئ مع ماضينا العمراني العريق في حيويته وإمكاناته لا في صورته الجامدة وكأنه جثة هامدة. حوار يحترم ذلك الماضي ويطلق له العنان أن يلتحم مع الحاضر في تجانس. فحين نصمم نحاول أن نبحث في ذخيرة الماضي وما يتركه لنا من خبرات وتجارب ومبادئ. فنعبر بماضينا إلى الحاضر إما باقتباس يترجم الوظيفة بأفضل أداء من بدائلنا، وإما أن نعيش مع الماضي في ما هو أعظم من الشكل، نعيش مع فكره ومبادئه وقواعده في هيئة نظريات علمية تصيغها معطيات وإمكانات العصر[7].

إن مهمة فحص ودراسة تراثنا المعماري يتطلب بلورة منهج علمي يستطيع أن يتجاوز الأطر الضيقة لزاوية النظر السلفية التي تحاول أن تكتفي بدراسة التراث باعتباره جزءا من الماضي والاكتفاء بالانبهار به حد التقديس والدعوة للعودة إلى الحياة داخل هذا التراث فقط على حساب الحاضر ودون إدراك المتغيرات الكثيرة التي حدثت في عصرنا. وهذه النظرة غالبا ما ترتكز على الجوانب غير العلمية في هذا التراث وتهمل تراثنا وإسقاطه بحجة عدم استجابته للمشكلات اليومية التي تطرحها حياتنا المعاصرة وواضح أن مثل هذه النظرة غالبا ما تقود إلى مسخ الهوية الوطنية القومية[21].

ليس من الصحيح، بل من الخطأ علميا، تجاهل وجود التراث الحضاري والذي يشكل بحد ذاته أحدى مقومات الخصوصية الوطنية والمحلية الأساسية لكل مجتمع، لأنه يشكل دليلا شاخصا للمستوى الحضاري والتكنولوجي لكل الفترات السابقة. ليس باستطاعة أحد منا أن يرفض الاعتراف بوجود التفاعل والجدلية بين الماضي والحاضر والمستقبل في التجربة الإنسانية. وإن لم يعترف بأهمية تراثنا الحضاري فهو ليس منا.

أحد الأخطار الأساسية التي تمر بها الدول النامية، إذ إنها خسرت وأهملت دور تراثها الحضاري المحلي وبدأت بتطبيق النهج والنموذج الغربي في التنمية الاقتصادية والاجتماعية، مستعينة بوسائل النقل

المباشر أو الشراء الاستهلاكي السريع للتكنولوجيا المصدرة من قبل الدول الصناعية، ومن ثم تطبيقها دون حسابات دقيقة مسبقة لتأثيراتها البيئية والاجتماعية للمجتمع المحلي وموروثاته التراثية العريقة[١٦].

لقد أضحى هم المعماريين في ضوء الاعتبارات الجديدة، ليس تقليد ونقل القيم السائدة في بلد محدد ما، واستنساخ تكوينات معمارية معروفة وزرعها في مناطق جغرافية متباينة المناخ ومختلفة في القيم التاريخية والخصائص القومية، وإنما اللجوء إلى التراث المعماري المحلي والقومي بغية استقراء القيم الايجابية فيه وبعثها وإحيائها في ضوء التقدم التكتيكي المعاصر والتطلعات الجديدة نحو المستقبل[4].

أنه لا يوجد أي تناقض بين استخدام احدث الوسائل التكنولوجية وبين ضرورة الحفاظ على الخصوصية المحلية،وخير مثال على ذلك فندق الانتركونتنتال ومركز المؤ تمرات –مكة– المملكة العربية السعودية، الذي يعتبر مثال جيد على توظيف التكنولوجيا المعاصرة في خدمة عمارة قليمية متوافقة مع البيئة شكل رقم (٥). إن الإبداع والأصالة يترتبان عن كيفية التوفيق، وبصيغ جديدة، بين معطيات الإمكانيات واستغلالها على أكفأ حال وبين تحقيق الشروط الانتمائية في اتخاذ القرارات التصميمية لكل حالة معينة[15].

فكل أمة تتمسك بجذور هويتها لتقاوم ذلك الإعصار، إذ نجد أنفسنا ودون أسباب مقنعة نتخلى عن أهم ما يميز الحضارة العربية الإسلامية "العمارة الإسلامية" التي ساهمنا في تهميشها وإخراجها بإرادتنا، وحصرها فقط داخل إطار أحادي هو الإطار الديني الأمر الذي أدى إلى دراستها من قبل المستشرقين فقط وليس المعماريين.ولنا في سجلات التاريخ العربي والإسلامي نماذج لنتاجات مادية وفكرية شاخصة وخالدة لابد من الاستفادة منها واستلهام ما يمكن استلهامه وتوظيفه في نتاجاتها الحديثة والمعاصرة أي لابد من التفاعل والتواصل بين الماضي والحاضر.يعد التراث المعماري الإسلامي ثروة حضارية لابد من العناية بها وحمايتها، ولابد من دراستها وإيضاح خصائصها وفوائدها، والعمل على إكمال مسيرة تطورها، لتصبح أكثر ملائمة مع ظروف العصر والمتحولات الحضاري[19].

٦- الثابت والمتغير في العمارة.

إن نظرتنا إلى المستقبل مستمدة لا شكا من مبدأ الإيمان الراسخ بحتمية التطور والسير إلى الأمام، مع الاستفادة في هذا المسار من كل إفرازات التقنيات والتطورات المعاصرة ودمجها مع نفائس تاريخنا الحضاري العريق لنكون منهما فعلنا الحاضر. فعلينا إذا أن نفك خيوط نسيجنا الماضي ونتفحص مقوماته لنأخذ منه ما هو صالح دائم. فيا ترى ما هي هذه الخيوط العمرانية الخالدة؟ وماذا علينا أن نستل من هذا النسيج لإعادة صياغته في كيان عمراني جديد؟[٥] ،فالدعوة للتواصل مع التراث لا تعني استنساخ التراث أو تقليده بشكل سطحي، وإنما دعوة لأن يكون مصدرا للإلهام والاستقراء من قبل المعماريين أي البحث

عن النظام المعرفي الذي يختفي وراء تعامل العقل مع معطيات الواقع وابتكاره لأساليب الفهم والممارسة[2].إذ عاد المعماريون في العالم اليوم إلى التقاليد الأصيلة للعمارة، ونظروا إليها من خلال ظروف العصر وشروطه، واستطاعوا أن يقدموا عمارة منتمية، ولكنها لا تخلو من الإبداع. وكما ذكرنا سالفا بان الدعوة إلى الأصالة تبدأ بإيقاظ الوعي التاريخي لفن العمارة الإسلامية. إذ إن فن العمارة الإسلامية الحديثة يقوم على ثوابت هي عناصر الأصالة وعلى متغيرات هي عناصر الحداثة وليس ممكنا تحديد عناصر الحداثة فهي في توسع مستمر وزيادة مضطردة ولابد من الإفادة منها لإمداد العمارة الإسلامية بنبع حي يجعلها ملائمة لظروف العصر ومقتضياته[19].

إن العمارة العربية الإسلامية –في فتراتها الأولى– لم تقف عند حد المستوى التكنولوجي الذي كان سائدا قبل نشأتها. أنها على العكس، استغلت كافة الإمكانات وتأثرت بتجارب الأمم الأخرى والفكر الإنساني، وطورتها إلى إن بلورت صيغة عامة جديدة اشتركت فيها مختلف البيئات المحلية في الوطن العربي، بالرغم من مقوماتها المكانية والموقعية. لكن هذه الصيغة من الخصوصية العربية في العمارة لم تكن مفهوما ثابتا بل كانت من المطاطية والسيولة بمكان بحيث سمحت وجمعت التنوع الشديد ضمن الوحده. وبهذا الشكل حافظت على خصوصيتها التي لا تزال تذهل المعماريين في كل مكان ولفترة زمنية طويلة استمرت لأكثر من ألف سنة[15].

إن ربط التراث بالمعاصرة هو الأمل الوحيد الذي يقودنا إلى الخصوصية المحلية والخروج من التخبط الفكري والضياع الناتج من متاهات التيارات المتضاربة. وهذا النهج –التراثي المعاصر– حسبما يسميه د. إحسان فتحي ليس بالضرورة أن ينتج عنه أسلوب تصميمي معماري موحد. إن كنا نعرف كيف نستلهم من تراثنا المعماري بالاعتماد على تحليله ودراسته لا بالاستعارات الشكلية السطحية. ولا يمكن وضع نهج محدد لاعتماده من قبل المعماريين لتحقيق الخصوصية المحلية. فأية محاولة تقوم بها المؤسسات الرسمية أو الأكاديمية أو الأوساط النقدية لفرض أسلوب معماري واحد موحد، أو باتخاذ خطوات محددة يعتقد بأنها لازمة لتحقيق السمات المحلية أو حتى القيم الجمالية في الفن والعمارة ستؤدي بالنهاية إلى الفشل، لأنها ستحدد من حرية المعماري في مجال إبداعه الذاتي، وتؤدي بالضرورة إلى الاستعارة العقيمة والسطحية لعناصر وأشكال أو يسمى بـــ (مفردات) ورموز الماضي كتلبية سهلة وسريعة، وخضوع انتهازي لمتطلبات رسمية منطلقة أساسا من مفهوم ضيق في فهم دور التراث الحضاري في التقدم الإنساني[15].مما سبق نرى بأنه من الصعب تحديد مسار معين ومحدد نضعه نصب أعين المعماري ليحقق الهوية والخصوصية المعمارية. إلا أنه بالإمكان تحديد الثوابت والمتغيرات التي

يعتمد عليها وتساعده في اتخاذ قراراته التصميمية. فهناك عوامل ثابتة أو مستقرة وأخرى متغيرة كما موضح في الشكل رقم(٦). [22]

فالبيئة الطبيعية هي الشق الثابت من العوامل المؤثرة في تشكيل العمارة العربية الإسلامية، فأنها بالتأكيد تشمل أحد الأسس التي يمكن أن ينطلق منها المعمار العربي في تشكيل وخلق عمارته وفضاءاته، محاولا بذلك الاعتماد على الوسائل والقدرات الذاتية حتى يؤكد الشخصية القومية في العمارة ومع الاستعانة بما يؤمنه التقدم العلمي والتكنولوجي من طرق حديثة في الإنشاء، ومواد بناء مستحدثة تتناسب مع القدرات المالية والتنفيذية السائدة. ومع ذلك فأن استكمال الصورة التخطيطية والمعمارية للبيئة لابد من أن ترتبط من ناحية أخرى بالقيم الحضارية للمجتمع حتى تكون العمارة معبرة بصدق عن كل من البيئة الطبيعية والثقافية.فهناك الكثير يمكن ان نقتبسه من عمارتنا القديمة الاصيلة لا بل حتى معماريي الغرب اقتبسوا منها، فملقفات الهواء ــ مثلاــالتي تعمل على تكوين حركة هواء داخل الابنية القديمة ــشكل رقم(٧) ــ قد وظفت في عمارة الغرب ، كما في مبنى كلية العمارة في جامعة بيل للمعماري بول رودلف ــشكل رقم (٨)ــ .

فالعمارة العربية الإسلامية قد كانت انعكاسا للبيئة العربية، طبيعية وثقافية، وما تمخضت عنه من قيم ومبادئ تأصلت في أعماق الإنسان العربي وانعكست آثارها بعدئذ ليس على عمارته فحسب وإنما على مجمل نتاجه الحضاري من فنون وآداب..الخ[3].

وسيتم عرض الخصائص المعمارية للعمارة العربية الإسلامية والتي تعد من أهم العوامل التي تساعد في الحصول على هوية معمارية عربية إسلامية.

٧- خصائص العمارة العربية الإسلامية.

بالرغم من أن العمارة العربية الإسلامية تعتبر مرآة للبيئة الحضارية لسكان هذا العصر سواء من الناحية الاجتماعية والثقافية أو من الناحية الطبيعية والمناخية إلا إنها تحمل في إجمالها وتفاصيلها كثيرا من الخصائص المعمارية التي ترتبط بالعمارة في عصورها المختلفة ويمكن إجمالها في النواحي الآتية:

٧-١- الانفتاح نحو الداخل.

إن التكوين المنفتح نحو الداخل هو أحد خصائص العمارة العربية الإسلامية، فالصحن هو مركز الجذب الذي تلتف حوله كل العناصر وتطل عليه، وذلك في جميع المباني الدينية والدنيوية فالفراغ هو قاعدة الانطلاق في التكوين المعماري، أمتاز بمعالجات خاصة في الحضارة الإسلامية. ولقد أختلف المعماريون في تأويل وتفسير سبب استخدام الصحن كعنصر ثابت في العمارة العربية الإسلامية.

إذ يرى عدد من المعماريين أن الأسباب الاجتماعية والبيئية هي المحرك لفكرة الصحن حيث حقق الحماية المناخية، كما يحافظ على الخصوصية والعزل لأسباب اجتماعية ودفاعية إضافة إلى محاولة عكس الفردوس (الجنة) الفكرة المترسخة في عقل المسلم. ومحاولة عكس التضاد بين الرمال المحرقة والخضرة النظرة الدائمة، والتضاد بين المناخ الحار الجاف والبين النافورات ولزخارف الملونة[23].

لقد استقر في روع العربي الذي تضمه البيداء بقبتها السماوية المطلقة إلى أطراف الآفاق خيالان يمثلان كونين: "الكون الكبير" الذي هو ذلك العالم من حوله بسمائه المرفوعة على الجهات الأصلية الأربعة، ثم "كونه الصغير" الذي ضمه صحن داره المكشوف والذي يقوم هو الآخر على جدران أربعة سقفها تلك الرقعة السماوية المحدودة التي تطل على صحن داره، وهو ما يستشعره كل من ضمه فراغ فأحاط نفسه بما يفصله عنه وأضحى مشدودا إلى السماء بناظريه يتطلع إليها من خلال الفرجة المكشوفة، وعاش بين تلك الجدران الناهضة إلى محل محجوب عنه رؤيته الأفقية مستمتعا برؤيته العلوية[24]

لذا اقفل البدوي مسكنه على الخارج في مستوى سطح الأرض، وفتحه على السماء بواسطة الصحن، الذي يعتبره فراغه وكأنه الجزء الخاص به من السماء في داخل بيته[27].كما أن استخدام مبدأ الباحة الوسطية قلل من سلبيات البيئة المناخية القاسية، إذ استثمر في خلق منظومات للتهوية الطبيعية وزيادة كفائتها[4]. حيث أن الباحة الوسطية تختزن هواءا نقيا معتدل الحرارة والرطوبة، ويكون حاجزا لمنع جريان الهواء العلوي من النفوذ إلى البيت، ذلك أن هذا الفناء هو كالوعاء الكتيم ليس له منافذ سفلية تسهل عمليات جريان الهواء. وهكذا فإن الهواء الخارجي، مهما كان شديدا عاصفا، يحوم حول الفناء، ويمضي حاملا معه حرارته وغباره وملوثاته[19].ومن الامثلة المعاصرة التي وظف فيها الفناء الداخلي ،الجامعة الامريكية الجديدة في القاهرة الجديدة للمعماريين ساساكي اسوسيتس وعبد الحليم ابراهيم ،واحدى الفيلل الحديثة في السعودية، للمعماري حسن فتحي .شكل رقم(٩)، شكل رقم (١٠) .

إن ميزة التركيز على الداخل أيضا تنعكس في كون الفناء هو البؤرة في أغلب نماذج العمارة العربية الإسلامية وفي حالة غيابه فنجده قد تحور إلى فضاء مقبب مركزي وسطي، مهيمنا على فضاءات المبنى ككل، والقباب في بيوت الله (المساجد) وغيرها من أنماط الأبنية تؤكد مبدأ النظر إلى الداخل، كما في مركز تطوير الحرف والمهارات في مصر للمعماري حسن فتحي ،شكل رقم (١١).

٧-٢- المقياس الإنساني.

اتصفت العمارة العربية الإسلامية بالبساطة، واحترام المقياس الإنساني، فالاتساع لم يكن بضخامة المقياس وإنما عن طريق امتداد الفضاءات والارتباط بالسماء الفضاء الممتد بلا حدود.

أن احترام العمارة العربية الإسلامية للمقياس الإنساني، ليس المقصود به فقط المقياس الشكلي ونسب الإنسان. ولا يعني هذا القيم الأخلاقية المثالية فقط، بل يعني حلم الإنسان وإسقاطاته، أنه التعبير عن تاريخ الإنسان وحضارته وثقافته ومعتقده، أنه أشبه باللغة وبهذا نجد العمارة العربية الإسلامية استجابت لطبيعة الإنسان وخلقته وفطرته الجسدية والنفسية والحسية والروحية والعقائدية والفكرية، وذلك تجسيدا لدين الإسلام ومبادئه دين الفطرة[23].

فالمقياس الإنساني نشعره في كل نماذجها بغض النظر عن فخامة النموذج المعماري فالشعور بإنسانية الفضاء لا نفقده حتى حين كان يضطر المعمار المسلم إلى إسباغ الفخامة على عمارة المدخل مثلا يشيده شاهق الارتفاع مثل مدخل جامع السلطان حسن، لم يضحي قط بالمقياس الإنساني، بل كان يتحرز من زيادة مقاييس العناصر المعمارية، ومع احتفاظه لمثل هذه العناصر بمقاييسها[25].شكل رقم (٩)

لقد فقدت العمارة العربية المعاصرة هويتها المميزة، وخصوصيتها، حتى أجزاؤها الحديثة لا تملك أن تكون طابعا واضحا مميزا وظلت تعبيراتها المعمارية تتخبط في العالمية، لقد فقدت العمارة المقياس الإنساني، المقياس العربي الصغير اللطيف. ونحن ننظر للمقياس من خلال الحجم وارتفاع وعمق وعرض الكتلة ونظام الكتل والفضاءات، كذلك عناصر التجاوب النفسي مع البيئة معتمدة على التنوع والإثارة وتحفيز الإحساس الذاتي واللون والنمط والإيقاع والملمس كمؤشرات بصرية[26].

ولإعادة إنسانية العمارة وتفاعلها مع متطلباتها الاجتماعية يتطلب قوانين تعيد إلى نسيج المدينة عناصرها ومقوماتها البنائية التي تتفاعل مع وجوده وقيمته والتي تعيد له استقراره النفسي ووجوده الاجتماعي ضمن المدينة والتي لابد من البحث عن العناصر التي لعبت دورا مهما في إبراز طابع يتميز بإنسانيته وحضوره الاجتماعي[21].

٧-٣- الإيقاعية والهندسية.

إن المقياس الإنساني للعمارة العربية الإسلامية لم يجعلها خالية من المنطق العلمي للبحث الرياضي فقد أسهم في وضع الأسس الرياضية الأساس لإقامة المنشآت والعمارة العمران[٩].إن الاهتمام بالفضاء في العمارة العربية الإسلامية ينعكس في حرص المعماري المسلم على خلق التوافق الهندسي في الفراغات الداخلية على الأبعاد الثلاث باختيار الأبعاد والارتفاعات التي تتناسب مع حجوم الفراغات الداخلية وكانت العناية بداخل المبنى تفوق تلك التي تبذل خارجه[25].

تمتاز العمارة العربية الإسلامية بتناسق وتناغم عناصرها وهندستها العالية مع علاقاتها الرياضية المدروسة التي جعلتها متوازنة منسجمة، ويرى المعمار حسن فتحي أن البناء المعماري الإسلامي يمثل

انتقالات حركية مستمرة في الاتجاهات الأفقية والرأسية تخضع للنسبة الذهبية فهي كالسيمفونية، تهيئ الراحة الذهنية كما تهيئ الراحة البصرية.شكل رقم (١١)

إن اعتماد الأنماط الهندسية واضحا في عموم العمارة العربية الإسلامية، وعلى صعيد البناية المنفردة وعلى صعيد النسيج الحضري، مع وجود محورية عالية وتماثلية واضحة على محور واحد أو محورين وأكثر أشكال هندسية منتظمة كالمربع أو المستطيل بنسب مدروسة[25].ومن الامثلة المعاصرة لنسيج حضري معاصر هو حي دار الامان في المغرب العربي للمعماريين عبد الرحيم الشرعي وعبد العزيز الازرق .شكل رقم (١٢)

إن هذا النظام العلمي الهندسي الملائم للإنسان طبق على جميع الأبنية وبمختلف المواد والتقنيات كقاعدة علمية استفاد منها كل المجتمع وبذلك حققت العمارة العربية الإسلامية التوازن بين العلم والفن، فالأشكال الهندسية العلمية والنسب المتأثرة بمقياس الإنسان تحمل قيما بصرية شكلية وجمالية، حيث يتم التجول بعد استيفاء جانب المعنى إلى العناية بالشكل وجمالياته مما يكسبه ما يسمى باستقلالية الشكل، حيث يصبح نظاما منفصلا يمكن تشكيله وفق نظم ثانوية ووفق الأعراف السائدة في الزمان والمكان (كل وأجزاء وعلاقة بين الأجزاء)[23].

٧-٤- الوحدة والتنوع.

الوحدة ميزة مهيمنة وواضحة في العمارة العربية الإسلامية، والتي تتأتى فيها من وحدة ألآله، فالنظرة الوحدوية تنبع من وحدة ألآله وتشمل كل الصنائع وليس العمارة فحسب[25].أن وحدة العقيدة أوحت باختيار نفس الرموز، وكأنها الأشكال الهيروغليفية، التي ترمز إلى نفس المعاني لكافة المسلمين[27].

وفي ذلك يقول Shulz أن مبدأ الوحدة جوهري وأساسي في العمارة العربية الإسلامية، يعبر عن مبدأ المساواة في الإسلام ومفهوم الأمة. فهو مبدأ كلي في كل زمان ومكان يرتبط بالأصل والجوهر وبدين إبراهيم الخليل وتتجسد في التعبير عن الشكل ومعالجته كنمط أصلي أكثر من كونه شيء خاص وفردي، ولهذا نجد أن العمارة العربية الإسلامية تتميز عن العمارة الأوربية المسيحية والرومانية، تتسم بوحدتها وتشابهها بدأ من المدينة إلى الطرق والمباني والأشياء وحتى الناس أنفسهم رغم التنوع والاختلاف.فالوحدة تتحقق في الانفتاح نحو الداخل، والانغلاق من الخارج وفي الهندسة وفي نظام وأسلوب التعبير وفي تكرار العناصر وأساليب التزيين، والزخارف الهندسية والنباتية التجريدية، والألوان، كما نجد الوحدة في الاتجاهية. إذ إن أحدى ميزات العمارة العربية الإسلامية الاتجاهية حيث يتجه المؤمنون جميعا إلى الكعبة ولهذا الاتجاه معناه في تحقيق الوحدة، وحدة الهدف والاتجاه ولذلك سمي

المسلمون بأهل القبلة[23].ومن الامثلة المعاصرة على ذلك حديقة الاطفال الثقافية للمعماري عبد الحليم ابراهيم ،شكل رقم (١٣) .وهذا يعني امكانية توظيف مبادئ العمارة العربية الاسلامية في عمارة اليوم بمختلف فعالياتها ووظائفها .

كما تتسم العمارة العربية الإسلامية باستخدام التضاد داخل الإطار العام للوحدة والانسجام حيث اعتمد كأسلوب للتوحيد وكجامع وهمي بالتضاد، وحكمته التشويق وكما قيل وبضدها تتبين الأشياء، التضاد باللون، التضاد بالملمس، التضاد بالضوء والتضاد بالفراغ والصلادة المركزية والمحورية والداخل والخارج[23].كما سمحت الأحكام الفقهية الشرعية بالتنوع والاختلاف استجابة لفطرة الإنسان ولكل المتغيرات البيئية المكانية والثقافية والزمانية ولاختلاف الحكام والسلطة السياسية والعوامل الاقتصادية، فنتجت عمارة موحدة ملائمة لكل إقليم ولكل موقع، ولكل خصائص العمارة العربية الإسلامية التي سادت العمران الإسلامي إنما هي مظاهر لهذه الوحدة.

أما ظاهرة التنوع فتوضحت في تعدد طرز العمارة العربية الإسلامية حيث تميز في كل إقليم طراز واضح عكس خصوصية الزمان والمكان كالطراز الأموي، والعباسي والفاطمي والسلجوقي والأندلسي والهندي، وغيرها. كما توضحت في تنوع أساليب التعبير الجزئية في المبنى الواحد.حيث نجد تنوعا في التكرار وتنوعا في المواد والألوان وأساليب الزخارف وأشكالها فهناك تنوع في عرض الصور والمشاهد، تنوع في تقسيم الأسطح وتركيب العناصر، فالأشكال ثابتة ولكنها بهيئات مختلفة. وهذا كله من مظاهر الانسجام[23].

ومن هذا نرى أن من خصائص العمارة العربية الإسلامية وجود نظام ونسق موحد لقواعد التشكيل استخدم في كل الأقاليم ولعدة عصور وحد العمارة ليس من خلال الشكل وإنما من خلال علاقات ومبادئ وقواعد التكوين، التي تستند على عدة ظواهر، كاستخدام وحدة متكررة، وإمكانية وقابلية التكرار، وثبات الشكل وتنوع التزيين، وعلاقة الجزء بالكل من خلال مبادئ التدرج، والحدود والفواصل، واعتماد الهندسية في التشكيل والتكوين، والتعبير المجازي عن اللانهائية، واعتماد عدة أساليب فنيه كالانسجام والتناسق، والتماثل والتضاد واللون والملمس[23].

٧-٥- التجريد والرمز.

كانت العمارة والفن الإسلامي تعنى بإيقاع محكوم برياضيات صارمة وبعلاقات هندسية وعددية مجردة من أي تصوير شكلي قد يتعارض مع روحية الدين الإسلامي فكان التجريد والرمز سمتين متلازمتين للفن الإسلامي والتجريد في الفن الإسلامي هو مطلق لا نهائي غير محدد بأبعاد الرؤية البصرية وخال من التكلف تحكمه قوانين الإيقاع الرياضية نجده في فن التصوير والزخرفة، في العمارة

وفي الخط العربي[25].والتجريد هو أحد الهيئات التصميمية التي تجعل من التصميم أمرا حيويا، غامضا كما تولد الأشكال التجريدية الرمزية اهتماما مستمرا وتساعد في إثراء التصميم.

وإلى جانب التجريد ذكرنا الرمزية، فالعمارة العربية الإسلامية لا تعرف فكرة التجسيد.وهذا لا يعني أن الأشياء خافية غير ظاهرة،إنها موجودة ولكنها متميزة عن كونها وجود مادي في كونها تمتلك بعدا رمزيا، فأغلب العناصر الشكلية (العقود،الأقواس،..الخ) موجودة في العمارة الأوربية ولكنها تؤول بشكل مختلف[25]. وعن ذلك يقول حسن فتحي: "لقد وجد الإنسان في وجدانه الرموز بتجريد الظواهر، والبحث فيما وراء الشكل من القوانين الأزلية، التي يحملها الشكل، والتي خضع لها تكوينه، فإن الناحية الرمزية فيما وراء الشكل تعود إلى الوجدان، وبالتالي إلى العقيدة، فإذا خلت العمارة من الناحية الوجدانية لأصبحت ميكانيكا".إذ توصل البدوي العربي إلى إدخال الطبيعة والكون، اللذين كان دائم الاتصال بهما في حياته البدوية في الصحراء، إلى البيت الحضري بواسطة الرمز، وتحويل الطبيعة إلى عناصر معمارية[27].

والعمارة كغيرها من الفنون الإسلامية، قد اعتمدت في أسسها الإبداعية هذه المبادئ التي تتمثل بالتجريد، بكل ما يحتويه من رموز روحانية لا نهائية، وبالجمال بكل ما يتضمنه من معاني الإيمان والاحترام والخشوع، وبالمنفعة بشقيها المادي والمعنوي من أجل إكساب الفن وظيفة إنسانية واجتماعية[25].

٧-٦- المرونة وقابلية التكيف والامتداد الأفقي.

تنفرد العمارة العربية الإسلامية عن سائر العمائر الأخرى بظاهرة الامتداد للمبنى في أي اتجاه بإضافة وحدات متنوعة الأشكال والأحجام إلى المبنى دون اكتراث بشكل المبنى الأصلي أو الأصح دون إصرار بشكل المبنى النهائي، وهذه الصفة إنما تعكس عضوية العمارة العربية الإسلامية وانسجامها.

إن مرونة التكوين هذه في العمارة العربية الإسلامية لم يكن لها تأثير سلبي في التكوين المعماري وتوازنه مما يجعل من العمارة العربية الإسلامية منظومة تستوعب التغيير والإضافة والتعديل من خلال علاقة الجزء بالكل ومن خلال اعتماد التكرار على ضوابط إيقاعية تناسبية مدروسة.إن خاصية التكوين المرن والامتداد الأفقي نجدها على مستوى المدينة حيث تتكرر الوحدات السكنية مثلا دون إخلال بنظام المدينة، كما نجدها على مستوى المبنى والتفاصيل الزخرفية، فالقاعدة العامة في التكوين العربي –كما يذكر رفعت الجادرجي في مقالته (التراث ضرورة)– هي ترك الباب مفتوحا على مصراعيه أما بالإضافة أو الالغاء والتحوير وفي أي اتجاه وفي أي وقت، مما يسهم في إغناء التكوين وتنويعه وإثراءه[25].

وهكذا نجد أن العمارة العربية الإسلامية غنية بالقيم المعمارية العريقة التي يمكن الرجوع إليها في العمارة المعاصرة بالرغم مما تتعرض له الأخيرة من تقدم علمي وتكنولوجي وذلك دون اصطدام بأسلوب الحياة الحديثة.

٨ – الاستنتاجات.

ان تحقيق عمارة ذات هوية محلية يأتي من خلال استيعاب تاريخنا المعماري وموروثنا الفني بأ ستقراء القيم الايجابية فيه وأحيائها في ضوء التقدم التكنولوجي .

فهناك ثوابت ومتغيرات في العمارة فالتواصل مع التراث لا يعني أستنساخها بشكل سطحي فأن فن العمارة الاسلامية الحديثة يقوم على ثوابت هي عناصر الاصالة وعلى متغيرات هي عناصرالحداثة ، وربط التراث بالمعاصرة هو الوسيلة التي تقودنا الى الخصوصية المحلية والخروج من التخبط الفكري فنحصل على نهج هو النهج التراثي المعاصر فالبيئة الطبيعية هي العنصر الثابت المؤثر في تشكيل العمارة العربية الاسلامية والتي بالتأكيد تشمل أحد ألأسس التي يمكن ان ينطلق منها المعماري العربي في خلق عمارته وفضاءاته بالاعتماد على الوسائل والقدرات الذاتية حتى يؤكد الشخصية القومية في العمل ومن ثم ربطها بالقيم الحضارية للمجتمع حتى تعبر العمارة بصدق عن كل من البيئة الطبيعية والثقافية .

فالعمارة العربية الاسلامية تعد انعكاسا للبيئة العربية – طبيعية وثقافية – تحمل خصائص جعلتها عمارة معبرة بحق عن الخصوصية المحلية والهوية العربية وبالعودة الى هذه الخصائص والاستفادة منها في وقتنا الحاضر يمكن خلق عمارة معبرة عن هويتنا وخصوصيتنا التي تختلف اختلافا شاسعا عن الهوية الغربية . وهذه الخصائص هي :- الانفتاح نحو الداخل ، المقياس الانساني ، الايقاعية و الهندسية ، الوحدة والتنوع ، التجريد والرمز، المرونة وقابلية التكيف والامتداد الافقي .وعليه فأن وضع هذه المؤشرات نصب اعيننا عند الشروع بعملية التصميم المعماري تعتبر الموجه والمساعد لتحديد نقطة الانطلاقة للمشاريع المعاصرة المحلية المقدمة من قبل طلبتنا ومعمارييينا الجدد .

المصادر.

[1] Able, Chris, "Architecture & Identity", Towards A Global Eco Culture, Architectural Press An Imprint Of Butter Worth, Heinemann, London, 1997.

[2] الشماع، زينة أحمد، "الفصل والوصل كآلية للتواصل في العمارة، دراسة تحليلية للتواصل ضمن مستوى النظم الشكلية في نتاجات العمارة العراقية المعاصرة"، اطروحة ماجستير مقدمة إلى كلية الهندسة، قسم الهندسة المعمارية، الجامعة التكنلوجية، ٢٠٠٣.

[3] الصياد، نزار، "المجتمعات التقليدية بين الواقع والتصور"، عن التراث والهوية في زمن التغير، ندوة اشكالية النظرية والتطبيق في العمارة التقليدية، تنظيم جمعية المهندسين البحرينية، البحرين، ١٩٩٥.

[4] السلطاني-الزبيدي، خالد-خالد، "العناصر القومية في العمارة العربية"، مجلة المهندسون العدد (٢)، السنة الأولى، ١٩٨٥.

[5] طالب، طالب حميد، "الماضي والمستقبل ونظرتنا للعمارة المعاصرة"، مجلة المدينة العربية، العدد (٤٣)، السنة التاسعة، مايو ١٩٩٠.

[6] حمندي، محمود، "عمارتنا اليوم بين الفوضى والنظام"، مراجعة وتقديم د.خالد السلطاني، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٢.

[7] الناجم، علي عثمان، "البيئة العمرانية المحلية المعاصرة وقصور تهويتها الطبيعية"، بيت المعماريين العرب. www.arch.arab-eng.org

[8] ثويني، معمار علي، "الثابت العراقي في عمارة الشعوب الإسلامية المساهمة العراقية في المنتج المعماري العالمي"، السويد. www.mesopotamia4374.com/adad

[9] بحصاص، مهند، "حين تستوعب الفنون الأخرى العمارة الإسلامية مقياس بأبعاد اضافية" مؤسسة الوحدة للصحافة والطباعة والنشر. www.thawra.alwehda.gov.sy/archive2.asp?cat=culture&num=13617

[10] Brown, Denise Scott, "architectural Taste In Pluralistic Society",Harvard architectural Review, Vol. (1), Spring 1980.

[11] Schulz, Christian Norberg, "The Two Faces Of Post-Modernism Architectural Design", Vol. (58), No. 7/8, London, 1988.

[12] Pressman, Andy, "architecture:101", A Guide To Design Studio, John Wiley & Sons, Inc. U.S.A., 1993.

[13] Eisenman, Peter, "The End Of The Classical; The End Of Beginning; The End Of The End", 1984; In Re Working Eisenman, Academy Group Ltd; Great Britain; 1993.

[14] Prophyriors, Demetri, "The Relevance Of Classical Architecture", 1989.

[15] فتحي، احسان، "الخصوصية في العمارة"، مجلة مهندسون، العدد (٨)، السنة الأولى، ١٩٨٥.

[16] Jencks, Charles, "The Language Of Post-Modern Architecture", Fourth Revised Enlarged Edition, Academy Edition, London, 1984.

[17] Giedion, Sigfried, "Space, Time And Architecture", 1982.

[18] Venturi, Robert, "Iconography & Electronics Upon A Generic Architecture", The M.I.T Press, London, 1996.

[19] تحديث فنون العمارة الإسلامية لفائدة ذوي الأختصاص في العالم الإسلامي وخارجه. www.isesco.org.ma/arabe/publications/fonoun/meno.htm

[20] رزوقي-عبد علي، غادة-موسى سعاد، "أثر تغير البيئة الحضرية في خصوصية العمارة"، ندوة الخصوصية الوطنية في العمارة العربية المعاصرة، بغداد، ١٤-١٦ تشرين الأول، ١٩٨٩.

[21] كمونة، حيدر، "التراث الحضاري العربي والمدينة المعاصرة"، جريدة المدى. www.almadapaper.com

[22] ثويني، معمار علي، "الثابت والمتغير في عمارة الشعوب الإسلامية"، بيت المعماريين العرب. www.arch.arab-eng.org

[23] العمري، حفصة رمزي، "أثر الدين الإسلامي على تشكيل أنماط أبنية العمران، مع دراسة تحليلية لنمط المساجد من القرن الثاني إلى السابع الهجري"، رسالة دكتوراه مقدمة إلى كلية الهندسة، قسم الهندسة المعمارية، جامعة بغداد، ٢٠٠٢.

[24] عكاشة، ثروت، "القيم الجمالية في العمارة الاسلامية"، دار المعارف، مصر، ١٩٨١.

[25] المالكي، قبيلة فارس، "الهندسة والرياضيات في العمارة، دراسة في التناسب والمنظمات والمنظومات التناسبية"، دار الصفاء للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٢.

[26] كمونة، حيدر، "أهمية المحافظة على الأبنية والمواقع التاريخية في المدينة العراقية"، جريدة الصباح. www.alsabaah.com/paper.php?source=akbar&page=32

[27] إبراهيم، عبد الباقي، "المعماريون العرب، حسن فتحي"، مركز الدراسات التخطيطية والمعمارية، مصر. www.cpas-egypt.com

شكل رقم (1)
امثلة لتأثير عمارة مافوق الحداثة
على العمارة الخليجية

شكل رقم (2)
مشاهد من القاهرة الخديوية المصممة بنسخة
من باريس في القرن التاسع عشر

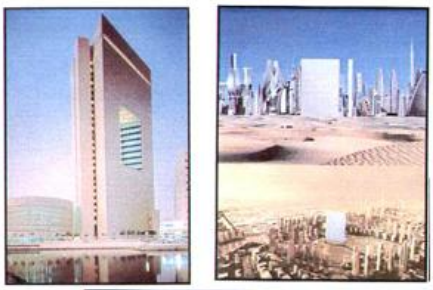

شكل رقم (3)
هيمنة المباني الشاهقة
والكتل الكونكريتية المسلحة
على الذوق العام

شكل رقم (4)
نماذج متنوعة من
العمارة الخليجية
التي اعتمدت
اسلوب النسخ
الشكلي للماضي
(استنساخ المدينة
المنورة)

استنساخ تاج محل في دبي

شكل رقم (5)
فندق الانتركونتنتال ومركز المؤتمرات - مثال جيد على توظيف
التكنولوجيا المعاصرة في خدمة عمارة اقليمية متوافقة مع البيئة
مكة - السعودية

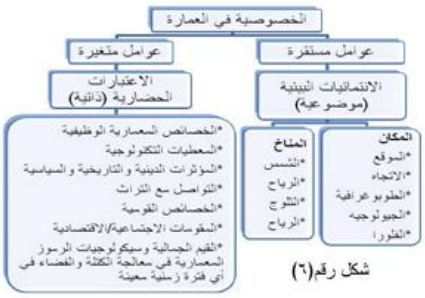

شكل رقم(٦)

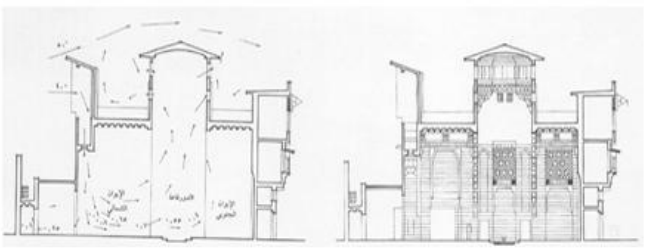

شكل رقم (7)
استخدام ملقفات الهواء داخل الابنية القديمة
لتكوين حركة هواء داخلية

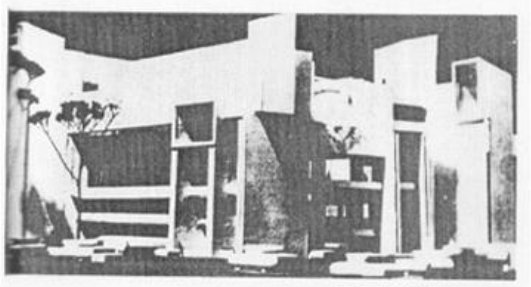

شكل رقم (8)
مبنى كلية العمارة في جامعة بيل للمعماري بول رودل

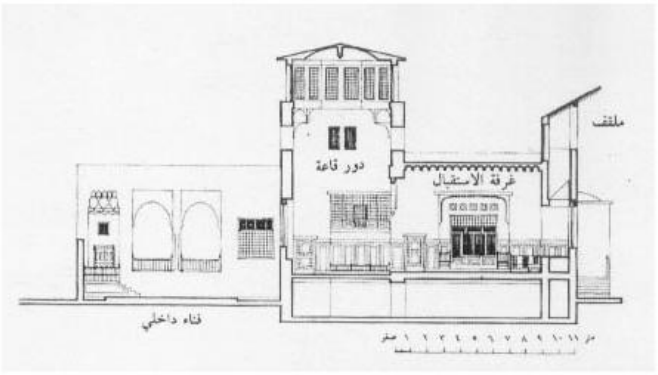

شكل رقم (10)
نموذج لفيلا سعودية حديثة للمعماري حسن فتحي

شكل رقم (9)
الجامعة الامريكية الجديدة في القاهرة الجديدة

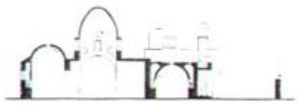

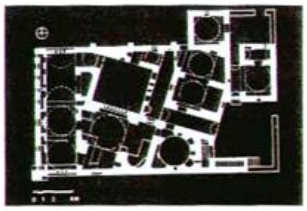

شكل (11)
مركز تطوير الحرف والمهارات للمعماري
حسن فتحي

شكل رقم (12)
نموذج لنسيج حظري معاصر في دار الامان - المغرب العربي

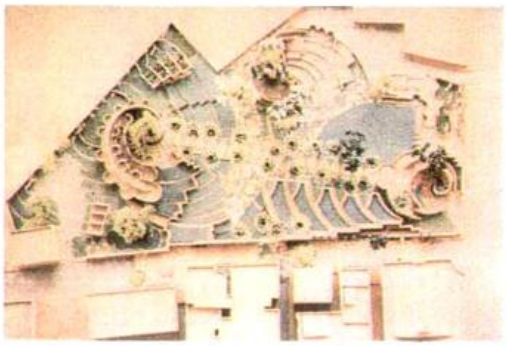

شكل رقم (13)
حديقة الاطفال الثقافية في مصر

Contemporary Arabic Architecture And It's Local Specialism

Nawal Abdul Amir K.
University Of Technology
Assistant Lecture

Naqa Nedihal K.
Baghdad University
Assistant Lecture

Abstract

To create an architecture with a local identity, expresses its environment convenient with contemporary time, we need to examine the architectural traditions of the region and get interest from the results which produced by old architects to be suited with natural and social circumstances.

Confusing ideas and non related modern architectural products in addition to the incorrect following to the modern movements, led to lose the local identity and to harden distinguish among different environments (general problem) then there's no closeness with those products and feeling estrangement from them because they forced to our Arabic environment, by copying known architectural compositions here & there in regions with civil and social values different entirely from the west. Generally some of new architects (practically) , and specifically our student (academically) concern with western Architecture more than Islamic Arabic architecture history (specific problem) then the research problem is :there is non _clarity of means which might be a common base and guide for our new Architects & students to create a local architecture harmonize with society & environment , therefore the main objective of the research is: to come out with clear image about these means & fix them in our student minds in architectural schools (for both of academically & practically fields)

Accordingly we have to return to our traditions and investigate their properties and use them in such a way suitable with needs of time and progressive technology. That doesn't mean we have to metaphor formal and external language but we have to analyses the traditions and derive the distinguished sides and using them in modern way to create new modern architecture with local identity.

Keywords. **Contemporary Arabic Architecture, Traditional Architecture, Contemporary Architecture _Images**